من يؤوي الشاه المخلوع ؟

منذ نقلت شاشة التلفزيون في كل مكان من العالم صور الملايين من مسلمي إيران وهم يُـــسْقِطون دون ســـلاح حكم الشاه وجبروته إلى الحضيض ، بدأت التساؤلات : من يؤوي الشاه المخلوع ؟ .. سويسرا حيث يملك القصور والأموال ؟ .. رفضت سويسرا استقباله ، فرنسا ؟ .. أبرزت فرنسا موقفها من ذلك مسبقاً ، أمريكا ؟ .. رفـــضت أمريكا ، وانتقل الشاه من محطة إلى أخرى ، فاستُقبل في مصر استقبال الملوك ، بعد أن أيقن كل عاقل أنه لم يبق من ملكه شيء ، واستُقبل في الرباط على استحياء ، ثم أُفهم بأن عليه مغادرة البلاد ، واستقر به المقام بتأشيرة سفرٍ مؤقتة في المكسيك ، بعد وساطات وضغوط من جانب أصدقائه الأمريكيين ، ثم ظهر فجأة في نيويورك بحجـــة العـــلاج ، وانفجرت الأحداث ..

ويُطرح السؤال الآن من جديد : من يؤوي الشاه المخلوع ؟

في العالم دولٌ لم تخف يوماً صداقتها للشاه في عهد الطغيان ، ولكن المسؤولين فيها عاقلون بما فيه الكفايـــة أن لا يتجرأ أحد على طرح فكرة لجوء الشاه المخلوع إليها ، وتردد اسم سويسرا فسارعت سويسرا إلى الإعراب عن عدم استعدادها لاستقبال الشاه المخلوع بأي حال من الأحوال ، وترددت فكرة عودته إلى المكسيك ، ففاجأت المكسيك الدولةَ الكبرى المجاورة لها والمرتبطة بها بمختلف العلاقات ، بالرفض المطلق لاستقباله ، ووصفت صحف عديدة ذلك الرفض بأنه صفعة موجهة للدولة الكبرى وليس للشاه المخلوع فقط .. وتردد اسم دول صغيرة لا يُـــذكر اسمهـــا في مختلف المناسبات مثل جزر بورمودا في المحيط الأطلسي ، فسارع المسؤولون فيها إلى الإعلان عن رفضهم القـــاطع ، وحتى (جنوب أفريقيا) الدولة العنصرية المكروهة ، إلى درجة لا تكاد تخشى معها أن تزداد كراهتها في العـــالم لـــو استقبلت الشاه المخلوع ، تردد اسمها في أجهزة الإعلام فقال وزير خارجيتها ، من المفروض على كل عاقل أن يدرك الجواب المنتظَر على مثل هذه الفكرة ، وسارع سفيرها في سويسرا إلى التصريح بأن الفكرة بحد ذاتها (فكـــرة تـــثير الضحك) ..

وحتى الكيان الصهيوني في فلسطين ، قيل إنه عرض الاستعداد لاستقبال الشاه المخلوع ، ولكـــنّ أحـــداً مـــن المسؤولين اليهود لم يعلن ذلك رسمياً ، فلا أُعلن رفضٌ ولا أعلن قبول حتى ساعة كتابة هذه السطور ..

وأعلن الرئيس السادات استعداده لاستقبال الشاه المخلوع منذ شهور ، وكرر دعوته له قبل أسابيع ، وجعل أول أعمال مجلس الشعب (المنتخب) أن يوافق على هذه الدعوة على الملأ ، ثم عاد فكرر الدعوة فور انفجار الأوضاع في طهران ، وكررها مرة أخرى وثالثة عقب ظهور أنه لا يوجد أية دولة تخاطر باستقبال الشاه المخلوع ..

والعجيب أن الشاه كرر اعتذاره عن قبول هذه (الدعوة الإنسانية !) مراراً أيضاً ، وربما كان السبب في أنــه لا يأمن على نفسه في مصر ، وفي هذا بعض الإهانة الموجهة لصاحب الدعوة و(روح الضيافة) الطاغية عنده حتى علــى مجرد التفكير السياسي المتعقل ..

ولكن هل رفض الشاه تلبية الدعوة لهذا السبب وحده بالفعل ؟ .. لقد كان من آخر تصريحاته قبيل وضــعه في قلعة المستشفى العسكري في تكساس ، أنه يرجو الحكومة الأمريكية أن تساعده على السفر إلى بلد ما من بلدان العالم ، والحكومة الأمريكية في وضعٍ حرج ، فقد بدأت الأصوات تعلو رغم استمرار حجز الرهائن في طهران بأن مسؤولية البيت الأبيض عن الأحداث تنبع من استقباله للشاه ، سواء نتيجة قناعة (كارتر) الشخــصية ، أو نتيجــة ضــغوط (كيسينجر) و(روكفلر) عليه ، بل ومضى المرشح المنافس لكارتر في الانتخابات القادمة (كنيدي) شوطاً أبعد فأعلن أنه لا ينبغي للحكومة الأمريكية الاحتفاظ بالشاه الذي سرق المليارات من الــشعب الإيــراني ، وحكمــه حكمــاً دكتاتورياً رهيباً لا مثيل له في العالم ، في وقت كانت السياسة الأمريكية فيه تربط نفسها بالأشخاص من دون مصالح البلاد والمنطقة والمصالح الأمريكية نفسها ..

ولـ (كنيدي) في ذلك التصريح دوافعه النابعة من المعركة الانتخابية أولاً ، ولكن ما هي (دوافــع) الــسادات في إصراره على دعوة مرفوضة ؟ .. هل يريد من السياسة الأمريكية أن ترتبط بشخصه ، باستعراضه أنّه لا يخشى حتى ممّا يخشى منه الساسة العقلاء وغير العقلاء في مختلف أنحاء العالم ؟ ..

وما دوافع (رفض الدعوة) ؟ .. لماذا لا تنصح الحكومة الأمريكية ضيفها (الثقيل) بالتوجه إلى مصر من فوره ؟ ..

كثير من المحللين السياسيين في الصحف الألمانية ينقل عن خبراء البيت الأبيض الأمريكي قــولَهم ، إن (كــارتر) يخشى من نزول الشاه المخلوع في مصر ، أن يؤدي ذلك إلى إحراج الدول العربية الأخرى الــتي لم تعــد تعــارض (مشروع كامب ديفيد) بنفس القوة السابقة ، وإلى موجة من الغليان والسخط في مجموع المنطقة ، تجعــل مجمــوع المشروع ينهار من أساسه بعد أن بدأت أركانه تتزعزع في أرض الضفة الغربية وغزة ، وفي إطــار مجمــوع التغــيير الجذري الاستراتيجي في المنطقة .

وربما كان في ذلك الجوابُ على التساؤل عن رفض الدعوة التي بلغت درجة التوسل والرجاء .